الدلالات البلاغية لإنابة حروف الجر بعضها عن بعض في بعض آيات القرآن الكريم

الاستـلام: 14/ 04 /2025
التحكيم: 04/ 07 /2025
القبـــول: 05/ 07 /2025

سمير محسن مثنى أحمد [1، *]

© 2025 University of Science and Technology, Aden, Yemen. This article can be distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2025 جامعة العلوم والتكنولوجيا، المركز الرئيس عدن، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

[1] باحث لغة عربية ، جامعة العلوم والتكنولوجيا ، عدن، اليمن

* عنوان المراسلة: sameer84777@gmail.com

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

الدلالات البلاغية لإنابة حروف الجر بعضها عن بعض في بعض آيات القرآن الكريم

الملخص:

هدف البحث إلى دراسة الدلالات البلاغية لإنابة حروف الجر عن بعضها في القرآن الكريم، واعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم تحليل الآيات القرآنية التي ورد فيها حرف جر ناب عن حرف جر آخر، وركز البحث على الدلالات البلاغية لهذه الظاهرة اللغوية، وكيف تسهم في تعزيز المعنى والفهم للآيات القرآنية.

وصل البحث إلى عدة نتائج منها:

1. **إنابة حروف الجر تدل على أن أغلبية حروف الجر تنوب بعضها عن بعض دلاليًا.**
2. **تناوب حروف الجر في القرآن الكريم يتراوح بين السهولة والتعقيد.**
3. **التحليل السياقي والتقابل الاستدلالي بين الآيات يساعدان على اكتشاف التناوب في معاني حروف الجر.**

أوصى البحث بضرورة استكمال دراسة بقية حروف الجر في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي.

الكلمات المفتاحية: ***الدلالات البلاغية، حروف الجر، الإنابة.***

Rhetorical Implications of Prepositions Interchangeability in the Holy Quran

Sameer Mohsen mothana ahmed [1, *]

Abstract:

This study aims to explore the rhetorical implications of prepositions interchangeability in the Holy Quran. Using a descriptive-analytical approach, the research analyzed Quranic verses where one preposition is used in place of another. The study focused on the rhetorical implications of this linguistic phenomenon and how it enhances the meaning and understanding of Quranic verses.

The research reached several conclusions, including:

1. Prepositions interchangeability indicates that most prepositions can substitute each other semantically.
2. The interchangeability of prepositions in the Quran ranges from simplicity to complexity.
3. Contextual analysis and inter-textual comparison facilitate discovering the interchangeability of prepositions' meanings.

The study recommends further research on the remaining prepositions in the Quran and exploring prepositions interchangeability in Arabic poetry

Keywords: *Rhetorical Meanings, Prepositions, Holy Quran.*

[1] Arabic Language Researcher, University of Science and Technology, Aden, Yemen

* Corresponding Email Address: sameer84777@gmail.com

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء محمد صلى الله عليه وسلم،

وبعد:

ونحن نقرأ القرآن الكريم نقف مع آياته مستلهمين منه الدروس والعبر، مصححين به لغتنا، مقومين به ألسنتا، فما من حافظ للقرآن الكريم إلا وظهر أثر حفظه ذلك جلياً في خطابه وفصاحته، وما قرأ أحد القرآن إلا استقام لسانه، وحسن لفظه، وأجزل ذوقه، وامتلك مهارة القراءة في غير القرآن الكريم.

إن تدبر المعنى للقرآن للكريم خير معين على الثبات، وزيادة الإيمان، وعند قراءة القرآن تمر لفتات بلاغية، وأساليب بيانية، بعضها يفهمها القارئ، وكثير منها لا تفهم إلا للباحثين في اللغة والبلاغة وأصحاب دراية وعلم.

ومما نلاحظه أن لحروف الجر دلالات ومعاني وضعها علماء النحو وساروا عليها، ووقفوا على كثير من المسائل المتعلقة بهذه الحروف، وعن إمكانية إنابة بعضها مكان بعض من عدمه.

وما نريده في هذا البحث أن نقف مع بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها حرف جر ناب عن حرف جر آخر، وقد تطرق لهذا كثير من العلماء ومنهم: (الرماني أبو الحسن 384هـ) في كتابه معاني الحروف، و(سيبويه 148هـ) في الكتاب، و (الفراء 146هـ) في معاني القرآن، وغيره من السابقين.

وما أريد أن أشير إليه في هذا البحث هو الدلالات البلاغية لإنابة حرف جر مكان آخر في القرآن الكريم، وهو مالم أجده مجموعاً في بحث واحد بحسب علم الباحث.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث كونه يبحث عن الأسرار البلاغية لإنابة حرف جر مكان آخر في القرآن الكريم، وأهميتها من أهمية فهم القرآن الكريم، إضافة إلى رفد الطلبة والباحثين ببعض المعاني والمفاتيح التي قد يستفيدون منها خلال حياتهم البحثية.

سؤال البحث:

وحتى تكون الاستفادة واضحة وجلية نحاول أن نجيب على تساؤلات هذا البحث:

هل هناك أغراض ودلالات بلاغية لإنابة حرف جر مكان آخر؟

ما سر استخدام حرف جر مكان آخر في بعض الآيات القرآنية؟

المنهجية

اعتمد هذا البحث على المنهج النوعي لدراسة واقع الابتكار الاجتماعي في اليمن؛ من أجل استكشاف وفهم العوامل والعمليات والظواهر المرتبطة بالابتكار الاجتماعي، عبر تحليل تجربة مختبر الابتكار الاجتماعي، عن طريق المقابلة وتحليل الوثائق والتقارير ذات الصلة. ويركز المنهج النوعي على تحليل وتفسير البيانات والمعلومات للوصول إلى استنتاجات موضوعية، بالاعتماد على تفكيك الظواهر البحثية إلى مكوناتها الأساسية وفهم العلاقات والتفاعلات بينها. وذلك عبر دراسة المفاهيم والنظريات وتحليل العوامل المؤثرة بهدف الإحاطة بالمشكلة البحثية والإجابة عن تساؤلاتها.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه الظاهرة في القرآن الكريم مستدلًا بما قاله أهل النحو والبلاغة وكتب التفسير.

وأخذ الباحث بعض الدلالات البلاغية لبعض حروف الجر التي كثر إنابة بعضها عن بعض، ومنها: (من، إلى، عن، على، في) كونها أكثر حروف الجر تناوبًا وتداولًا في لغتنا العربية، تاركًا للباحثين مجالًا كبيرًا لاستكمال ما لم نتمكن من الحديث عنه في هذا البحث، وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، سائلًا المولى التوفيق والسداد.

المبحث الأول

الحرف لغة واصطلاحًا إضافة إلى آراء العلماء في الإنابة

الحرف لغة واصطلاحًا

الحَرْفُ مِن كُلِّ شَيْءٍ: طرَفُهُ وشَفِيرُهُ وحَدُّهُ، ومِن ذلك حِرْفُ الجَبَل، وهو: أعْلاهُ المُحدَّدُ (الزَّبيدي، ب. ت، 33/128).

الحَرْفُ: وَاحِدُ حُرُوفِ التَّهَجِّي الثَّمَانِيَةِ والعِشْرِين، سُمِّيَ بالحَرْفِ الذي هو في الأَصْلِ الطَّرَفُ والجانبُ (الزَّبيدي، ب. ت، 33/ 128).

الحَرْفُ: النَّاقةُ الضَّامِرةُ الصُلبَةُ، شُبِّهتْ بحَرْفِ الجَبَل، زادَ الزَّمَخْشَرِيُّ: في هُزَالِها ومَضَائِهَا في السَّيْر، وفي اللِّسَان: هي النَّجيبَةُ المَاضِيَةُ التي أَنْضَتْهَا الأَسْفَارُ شُبِّهَتْ بحَرْفِ السَّيْفِ من مَضَائِها ونَجَائِهَا ودِقَّتِها، أو هي المَهْزُولَةُ (الزَّبيدي ب. ت، 23/ 128).

والحَرْفُ عِنْدَ النُّحَاةِ أي في اصْطِلاحِهم: ما جاءَ لِمَعْنًى لَيْسَ باسْمٍ ولا فِعْل وما سِواهُ مِن الحُدُودِ فاسِدٌ، والحَرْفُ: ما دلَّ على مَعْنًى في غَيْرِه ومن ثَمَّ لم يَنْفكَّ عن اسْمٍ أو فِعْلٍ يَصْحَبُه إلاَّ في مَوَاضِعَ مَخْصُوصةٍ حُذِفَ فيها الفِعْلُ واقْتُصِرَ على الحرفِ فجَرَى مَجْرَى النَّائِبِ، نحو قَوْلِك: نَعَمْ وبَلَى (الجرجاني، 1405، صـ85).

إن مفهوم إنابة حرف جر مكان حرف آخر ورأي النحاة في ذلك الأصل في حروف الجر أن يكون لكلّ حرف منها مكانٌ يحله، ومعنًى يؤدّيه حين تركيبه مع غيره؛ لأنّ الحرف بصفة عامّة: هو ما دلّ على معنًى في غيره، غير أنّ العرَب تتوسّع فيها، فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربَت المعاني قبل تحديد ما يشير إليه التناوب من معنى فمن المفيد الإشارة إلى تقسيم الأفعال العربية من حيث اللزوم والتعدي نظرًا لأن التناوب من ضمن هذا المبحث.

المعروف أن الأفعال العربية من حيث لزومها وتعديتها تنقسم إلى قسمين: الفعل اللازم والفعل المتعدي. الفعل اللازم هو "ما يليه فاعل مرفوع فقط، إما على أنه قائم به مثل: حسن زيد - قبح عمرو، وإما على أنه واقع منه مثل: قعد زيد - جلس عمرو" (ابن جني، ب. ت، 2/306 ـ 309)، و(الباقولي، 1420هـ، 3/ 806).

أما الفعل المتعدي فهو "ما يليه فاعل مرفوع، ومفعول به منصوب أو جار ومجرور"(المرادي،1992م، صـ46)، و(ابن هشام، 1985م، صـ151).

اختلف النحاة في شأن الفعل المتعدي بحرف الجر فبعضهم جعله قسمًا ثانيًا للأفعال المتعدية كما تقدم ذكره، وبعضهم ضمه إلى الأفعال اللازمة، وقد ذهب د. شوقي ضيف إلى أن الرأي الأول هو الأرجح وقال: "لأن الفعل مع الجار والمجرور يقع على المجرور كما يقع على المفعول به، فإذا قلت مثلًا: "لفظ زيد بالكلام - لفظ زيد الكلام، كان اللفظ - أي النطق - في الجملتين واقعًا على الكلام (الأخفش، ب. ت، 1/205 – 206)، و(الطبري، 2000م، 1/ 298 – 299)، و(ابن السراج، ب. ت، / 414 - 415).

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

وقد ذهب إلى ما يخالف هذا الرأي بعضهم الآخر، منهم أحمد عبد الستار الجواري حيث يرى أن الفعل المتعدي بحرف الجر قسم من أقسام الأفعال اللازمة لأنه يتسم بضعف معنى الحدث والزمن فيقل تصرفه في الأزمنة المختلفة، وبذلك يضعف تمكنه من الفعلية والحدوث، فلا يتعدى إلا بواسطة (الفراء، ب. ت، 2/ 251، 299 - 300)، و(الزجاج، 1988م، 1/416 – 417)، و(ابن مالك، ب. ت، 2/345).

ويؤكد هذا الرأي د. إبراهيم السامرائي حيث يرى "أن الفعل أصله قاصر لازم ثم يصار من هذا الحالة إلى المتعدي (المرادي، 1992م، ص46)، و(ابن هشام، 1985م، ص150-151).

على الرغم من أن بين الرأيين شيئًا من التناقض إلا أنهما يشتركان في أن الفعل المتعدي بحرف الجر كان أصله لازمًا ثم يتجاوز فاعله ويتعدى إلى المفعول به بواسطة حرف الجر، فالدكتور شوقي ضيف ضمه مع الأفعال المتعدية لأنه جاء بمثال يجوز فيه تعدية الفعل اللازم بنفسه وبحرف على السواء، بالإضافة إلى أنه سمى الفعل عند تعديته بالحرف لازمًا مما يؤكد أن الأصل فيه هو اللزوم، فلذلك يمكن تحديد ما يقصد بالفعل المتعدي بحرف الجر بالقول إنه فعل لازم يتعدى فاعله إلى مفعول به بواسطة حرف من حروف الجر؛ لأنه لا يتمكن من إيصال معناه إلى الاسم بعد فاعله بنفسه.

وتناوب حروف الجر كما سبق ذكره من موضوعات تعدية الأفعال اللازمة بحروف الجر، ويشير التناوب إلى نيابة حرف جر عن آخر، أو بدل حرف جر من آخر، أو استعمال الحروف بعضها مكان بعض.

المبحث الثاني

الجانب التطبيقي لبعض آيات القرآن الكريم التي ورد فيها حرف جر ناب عن حرف جر آخر والأسرار البلاغية من ذلك.

الحرف الأول من حروف الجر حرف (من):

حرف (من) يدل أصلًا على الابتداء يقول ابن جني:" فمعنى من الابتداء تقول: سرت من البصرة، أي: ابتدأت السير من البصرة، وتكون تبعيضًا كقولك أخذت من المال أي بعضه، وتكون زائدة دخولها كخروجها نحو قولك ما جاءنا من أحد أي أحد" (ابن جني، 1972م، ص73).

ومما نريد أن نتحدث عنه هو دخول حرف الجر (من) مكان حرف آخر ودلالة ذلك بلاغيًا.

إنابة حرف الجر (من) عن حرف الجر(عن):

ومنه قوله تعالى: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش:4]، قال القرطبي أي: عن جوع (القرطبي، 2003م، 9/ 929)، و(الشوكاني، 1414هـ، 4/ 92)، وقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 22]، أي: عن ذكر الله، ومثله ابن مالك بنحو: عدت منه، وأتيت منه، وبرئت منه، والباحث يبين الدلالة البلاغية لاستخدام حرف الجر هنا بدلًا عن آخر، وما السر في ذلك؟

أولًا: هذه الآية تتحدث عن أمرين عظيمين وهما الأمن والغذاء، وهما نعمتان عظيمتان، وبهما سبحانه استحق العبادة، ووروده نكرتان كما يقول ابن عاشور "للنوعية، لا للتعظيم، إذ لم يحل بهم جوع وخوف من قبل" (ابن عاشور، 2000م، 30/ 492). وقيل: التنكير في جوع وخوف؛ لشدتهما (ابن جزي، 1416هـ، 2641). ولذا جيء باستخدام حرف الجر (من) بدلًا عن حرف الجر (عن) ليدل على المجاوزة للحد الذي وصل إليه الأمر في العبادة كون الموضوع فيه وجه تعليل الأمر بتوحيدهم الله، بخصوص نعمة هذا الإيلاف مع أن لله عليهم نعمًا كثيرة؛ لأن هذا الإيلاف كان

سبباً جامعاً لأهم النعم التي بها قوام بقائهم، ويشير حرف الجر (من) وكأن الجوع كانت ملاصقاً لهم ومجاوزا لحد الوصف الذي قد يوصف به الجائع، وهذا من الأسرار في إنابة حرف الجر (من) عن حرف الجر (عن).

ومن الأسرار أيضاً أن حرف الجر (من) يوحي أن جوعاً حصل لهم لم يحصل لغيرهم، مما يعكس أن الطعام المقدم لهم مناسب للجوع التي أحلت بهم.

ومن الأسرار التي يدل عليها حرف الجر (من) أن هناك جملة من المعاني حملتها الآية، فحرف الجر (من) يدل على الابتداء.

إنابة حرف الجر (من) عن حرف الجر (في):

ومنه قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [الأحقاف: 4] أي: في الأرض، (الشوكاني، 1414هـ، 7/ 222).

أي: أروني ما تأثير ما تعبدونه في شيء أرضيّ بالاستقلال، أو شيء سماوي بالشِرْكة، حتى تستحق العبادة، يقول ابن عاشور: أي: أنبئوني شيئاً مخلوقاً للذين تدعون من دون الله في الأرض (القاسمي، 1418هـ، 8/ 437).

و{مَاذَا} كلمة مركبة من {مَا} الاستفهامية و {ذَا} التي بمعنى الذي حين تقع بعد اسم استفهام، وفعل الإرادة معلق عن العمل في المفعول الثاني والثالث بالاستفهام، والتقدير: أروني شيئاً خلقوه مما في الأرض (ابن عاشور، 2000م، 22/ 176)، والسر في استخدام حرف الجر (من) بدلاً من حرف الجر (في) هو لما الأمر معناه للتعجيز، إذ لا يستطيعون أن يروه شيئاً خلقته الأصنام، فيكون الأمر التعجيزي في قوة نفي أن خلقوا شيئاً ما، كما كان الخبر في بيت عبدة الوارد بعد الصلة قرينة على كون الصلة للتنبيه على خطأ المخاطبين. (ابن عاشور، 2000م، 22/ 176)، فحرف الجر يدل الدلالة التبعيضية التي من المستحيل أن تحصل، أو أن يستطيعوا أن يخلقوا بعض شيء، أي: أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض حتى يستحقوا الإلهية والشِرْكة (الألوسي، 1415هـ، 11/ 374).

ومما يجدر الإشارة إليه في هذه الآية أن الصناعات التي تحدث في الأرض والتطور التكنولوجي كل هذا نوع من نعم الله وتوفيقه وإمداد الله للبشر بهذا العقل الذي يستخدم في إنشاء هذه الآلات، قال تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: 20].

الحرف الثاني من حروف الجر حرف (إلى):

هذا الحرف الثاني التي سيتناوله الباحث في توضيح معناه ومن ثم إنابته عن بعض حروف الجر، والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم، ودلالة هذه الإنابة بلاغيًا.

حرف الجر (إلى) يدل على انتهاء الغاية مطلقًا، سواء النهاية الزمانية كقوله تعالى: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: 187] أم نهاية مكانية كقوله تعالى: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} [المائدة: 6]، ويدخل ما بعدها بحكم ما قبلها إذا وجدت قرينة تدل على ذلك، (ابن السراج، 1988م، 1/ 408).

إنابة حرف الجر (إلى) عن حرف الجر (الباء):

ومن الأمثلة على دخول (إلى) الجارة وانابتها عن حرف الجر (الباء) قوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: 187]، فناب حرف الجر (إلى) عن الحرف (الباء) ومعناه الرفث بنسائكم، (الأخفش، ب. ت، 1/ 100)، وإنما يقال: "رَفَثَ بامرأتِه" ولا يقال: "إلى امرأته"، ومن المفسرين من قال: أن المقصود بالرفث "الإفضاء فعدى بـ إلى في قوله:{الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}، ولا يقال رفث إلى كذا" (الأندلسي، 1420هـ، 1/ 94)، فحرف الجر (إلى) ناب عن حرف الجر (الباء) وذلك لعدم ذكر الجماع بصيغته التي تدل على التصاق البشرة بالبشرة والتي تتناسب معه حرف

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

الجر (الباء)، ولما كنى هنا عن الجماع بالرفث ناب الحرف عن الحرف، ولذا "فيحتمل أن يكون قولًا وأن يكون فعلًا، والأصل فيه أن يتعدى بالباء، وعدي بـ إلى لتضمنه معنى الإفضاء، ولم يجعل من أول الأمر كناية عنه لأن المقصود هو الجماع فقصرت المسافة، وايثاره هنا على ما كني به عنه في جميع القرآن من التغشية والمباشرة واللمس والدخول ونحوها استقباحًا لما وجد منهم قبل الإباحة، ولذا سماه اختيانًا فيما بعد" (الألوسي، 1415هـ، 1/ 461)"، وقد علمنا الله النزاهة في التعبير عن هذا الأمر حين الحاجة إلى الكلام فيه بعبارات مبهمة كقوله:{لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ، أفضى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ، دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فلمَّا تغشَّاها حَمَلَتْ} (المراغي، ب. ت، 2/ 78)، ولذا يذكر الزجاج أنه "حمل فيه اللفظ على المعنى وحكم عليه بما يحكم على معناه لا على اللفظ" فعدى رفثًا بـ إلى حملًا على الإفضاء، وكما قال أفضى بعضكم إلى بعض كذا قال {الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} (الزجاجي، ب. ت، 1/ 137)، ومن الدلالات التي تشير إليها إنابة حرف الجر إلى عن حرف الجر الباء بأن الآية وسبب نزولها تعالج قضية أكبر من قضايا الجماعة وهي المأكل والمشرب كما ذكر ذلك السيوطي، وحتى مصطلح الرفث يوحي فقط بقضاء الشهوة وانتهائها؛ وذلك لأن الصوم يخفف كثيرًا من الحاجة للمجامع بمفهوم الجماع.

إنابة حرف الجر (إلى) عن حرف الجر (في):

ومنه قوله تعالى: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[النساء:87]، فناب حرف الجر (إلى) عن حرف الجر (في)، وذلك ليتناسب مع ما دلت عليه (إلى) وذلك من انتهاء الحياتين الدنيا والبرزخ، والمعنى "(إلى) بمعنى (في)، (الأنصاري، ب. ت، 8/1)، و(الصبان، 1997م، 1/ 315)، أي: ليجمعنكم في يوم القيامة" الشوكاني، 1414هـ، 1/ 395)، وناب حرف الجر (إلى) عن حرف الجر (في) كما "أثبته أهل العربية ليجمعنكم في ذلك اليوم لا رَيْبَ فِيهِ أي: في يوم القيامة، أو في الجمع" (الألوسي، 1415هـ، 3/ 101)، والمعنى "ليبعثنكم من قبوركم وليحشرنكم إلى الحساب في يوم القيامة الذي لا شك في حصوله ووقوعه" (البغوي، 1420 هـ، 2/ 113).

إنابة حرف الجر (إلى) عن حرف الجر (اللام):

ومما ناب فيه حرف الجر (إلى) عن حرف اللام قوله تعالى: {قالوا نحْنُ أولو قوَّةٍ وَأولو بأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فانظري مَاذا تأْمُرِينَ} [النمل: 33]، أي: والأمر لك، فناب حرف الجر (إلى) عن اللام وذلك لما له من دلالة بلاغية توحيه الآية عندما عرضوا عليها الحرب وردوا إليها الأمر، وهنا الدلالة تشير بأن العرض جاء من القوم وتم إرساله إليها فقط للإقرار من عدمه، ولم يكن الأمر لها وهي صاحبة المقترح، وهذا الذي يشير لها حرف الجر اللام، من أن الأمر إليها وذلك بقوله:{إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} [النمل: 29]، والإلقاء لفظ يوحي فيه التلقي من أعلى أي: جهة عليا، ولذا ناسبها إليها لما فيه من الإطالة والليونة كما في حالة هذه الملكة التي "أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء، وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه «كريم» وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة، إنما تمهد له بذلك الوصف، ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة! وعلى عادة رجال الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل، ولكنهم فوضوا للملكة الرأي: {قالوا نحْنُ أولوا قوَّةٍ وأولوا بأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فانظري ماذا تأْمُرِينَ} (قطب، 1412هـ، 5/ 2640).

ومما قيل أيضًا أنهم سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة، وهذا يناسبه حرف الجر إلى لما فيه من المعاني التي توحي بالتأني واتخاذ القرار الصائب والمشارك مع القوم، بينما حرف الجر اللام يفيد السرعة والملكية والأحقية، وهذا ما لم تتضمنه الآية هنا.

الحرف الثالث من حروف الجر (على):

ومن الحروف الجارة حرف (على) والتي تدل على الاستعلاء الحقيقي والمجازي، (ابن السراج، 1988م، 1/ 408)، ومنه قوله تعالى: {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} [المؤمنون: 22]، وقوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [البقرة: 253].

وما ورد فيه نيابة حرف الجر (على) على حرف جر آخر.

دخول حرف الجر (على) مكان حرف الجر (في):

وإن مما ناب فيه حرف الجر (على) مكان حرف الجر (في) قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} [البقرة: 102] أي: في ملك سليمان، (البغوي، 1997م، 1/ 127)، و(الشوكاني، 1414هـ، 1/ 148)، فمن العلماء من يتأول ويقول: "بمجيء على للظرفية، ومثل له بهذه الآية؛ لأن الملك وكذا العهد لا يصلح كونه مقروءًا عليه، ومن الأصحاب من أنكر مجيء (على) بمعنى (في) وجعل هذا من تضمين تتلو معنى تتقول، أو الملك عبارة عن الكرسي لأنه كان من آلات ملكه، فالكلام على حد قرأت على المنبر، والمراد بما يتلونه السحر" (الألوسي، 1415هـ، 1/ 337).

ومن الأسرار التي جعلت حرف الجر (على) يستخدم وينوب حرف الجر (في) وذلك لما توضحه هذه الآية بأنه لما كان السحر منتشراً في عهد سليمان وطغى على حالهم وأصبحت جزءًا من أعمالهم ويردون إليه أعمالهم استخدم حرف الجر (على) التي تفيد الاستعلاء، (الجياني، ب. ت، 2/ 214)، وأن السحر مسيطر عليهم، حتى أصبحوا لا يفرقون بين السحر والمعجزة، "وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب، وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح" (النسفي، 1997م، 1/ 65)، فكان الأولى هنا استخدام حرف جر يناسب هذه المعاني والتي لا يناسبها غيره.

ومما قيل في هذا ما ذكره ابن عاشور: "التلاوة قراءة المكتوب والكتاب وعرض المحفوظ عن ظهر قلب وفعلها يتعدى بنفسه {يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ} [الزمر: من الآية71] فتعديته بحرف الاستعلاء يدل على تضمنه معنى تكذب أي: تتلو تلاوة كذب على ملك سليمان، كما يقال: تقول على فلان أي: قال عليه ما لم يقله، وإنما فهم ذلك من حرف (على) (ابن عاشور، 2000م، 1/ 611)، وهو ما لا يفيده أي حرف جر آخر.

دخول حرف الجر (على) مكان حرف الجر (من):

ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} [المطففين: 2]، قال الفرّاء: يريد اكتالوا من الناس، (الشوكاني، 1414هـ، 7/ 439)، و(الجوهري، 1987م، 6/ 2438)، أي: إذا أخذوا الكيل من الناس يأخذونه وافياً وزائداً على إيهام أن بذلك تمام الكيل، وإذا فعلوا ذلك في الكيل الذي هو أجلّ مقداراً، ففي الوزن بطريق الأوْلى (القاسمي، 1418هـ، 9/ 428).

والسر في استخدام حرف الجر (على) بدلًا من حرف الجر (من) للإشارة إلى ما فيه عملهم من المنكر ومن العلو والتكبر والقهر، شأن المتغلب المتحامل المتسلط الذي لا يستبرئ لدِينه وذمته، وهذه الإشارة لا يوحيه حرف الجر (من) الدالة على التبعيض، لأن التحايل في الكيل مشابهًا للسرقة، وهي عادة ذميمة فيهم هي الحرص على توفير مقدار ما يبتاعونه بدون حق لهم فيه، ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالًا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ناب (على) مكان (من)

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

للدلالة على ذلك. (النسفي، 1997م، 4/ 13)، فهؤلاء التجار يستغلون حاجة الفقراء، علماً أن استيفاء الحق أمر جائز لا يُنكره الشرع، غير أن استيفاء هؤلاء لحقوقهم ليس من باب المساواة، بل من باب التحامل عليهم بغرض القهر والإذلال، والأصل أن الفعل (اكتال) يتعدى

بحرف الجر (من) تقول اكتال فلان من فلانٍ قمحاً، يقول ابن عاشور: "وإنما عدي في الآية بحرف {على} لتضمين {اكْتَالُوا} معنى التحامل، أي إلقاء المشقة على الغير وظلمه، ذلك أن شأن التاجر وخلقه أن يتطلب توفير الربح وإنه مظنة السعة ووجود المال بيده، فهو يستعمل حاجة من يأتيه بالسلعة"، (ابن عاشور، 2000م، 30/ 169).

ومن الأسرار أيضاً أن حرف الجر (على) يشير إلى أن لأهل المال والمتعاملين بالربا درجة من التأثير والاستخفاف بحقوق وأموال الناس، مما يعكس درجة تقبل المجتمع لمعاملاتهم وتصويرهم للحرام بأنه أعلى درجات الحلال حتى يتقبلوه الناس، وكأنه نوع من الاستحقاق أو المسؤولية الاجتماعية التي تتم من قبل أهل الكيل.

وما يظهر أيضاً من الأسرار أن حرف الجر (على) يشير إلى أن المعاملة فيها نوع من الأمر والسلطة وضرورة التنفيذ.

الحرف الرابع من حرف الجر (عن):

وهي من الحروف الجارة، وتدل أصلاً على البعد والمجاوزة، يقال: رمى عن القوس، أي أبعده وجاوزه، (ابن السراج، 1988م، 1/ 408)، وقد ينوب هذا الحرف عن كثير من حروف الجر وذلك لأسرار بلاغية، سنتناول جزءاً منها.

دخول حرف الجر (عن) نيابة عن حرف الجر (الباء):

قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: 3]، أي ما ينطق بالهوى، إنّ حرف الجر عن بمعنى الباء أي: بالهوى، (الشوكاني، 1414هـ، 7/ 66).

وهو كلام موجه من الله تعالى إلى المشركين الطاعنين في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ونفي النطق عن هوى يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوى، سواء كان القرآن أم غيره من الإرشاد النبوي بالتعليم والخطابة والموعظة والحكمة، ولكن القرآن هو المقصود لأنه سبب هذا الرد عليهم.

واعلم أن تنزيهه -صلى الله عليه وسلم- عن النطق عن هوى يقتضي التنزيه عن أن يفعل أو يحكم عن هوى؛ لأن التنزه عن النطق عن هوى أعظم مراتب الحكمة، ولذلك ورد في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يمزح ولا يقول إلا حقاً، وهنا تم إبطال قولهم فحسن الوقف على قوله: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} (ابن عاشور، 2000م، 27/ 97).

وما نريد أن نبينه هو سر إنابة حرف الجر (عن) عن حرف الجر (الباء) وذلك لما له من دلالة بلاغية تتلخص بتلك المعنى الحاصل عن الحرف (عن) والتجاوز الذي وضحه في الآية، وهو تجاوز صريح، وذلك بتقدير: وما يتجاوز نطقه العقل والحكمة والحقيقة.. إلى الهوى، وهي الأبلغ من (الباء) (حسن عباس، 2011م، 1/ 61)، مع إشارة كثير من النحويين أن الباء هنا مرادفة لحرف الجر (عن)، (الكفوي، 1998م، 1006)، ولكن معاني الباء مختلفة تماماً عن حرف الجر (عن) (ابن هشام، 1985م، ص198)، والدلالة البلاغية التي يوحيها حرف الجر (عن) في الآية تعبر بشكل مباشر عن معنى عظيم وكبير من أن يتكلم النبي -صلى الله عليه وسلم- من تلقاء نفسه ومن دون وحي من السماء، وإنما هو رسول يبلغ ما أمره به ربه، بعيداً عن تأثير الأهواء ومعززا لمبدأ العصمة النبوية، وهذا نجده في بلاغة حرف الجر عن، بينما الباء توحي بالترابط والالتصاق بل واختلاط هذا بهذا واضعاً للتأثيرات الخارجية مساحة إيحاء، وهذا لم نجده في بلاغة حرف الجر (عن)، وبلاغة حرف الجر (عن) توحي بفكرة التوكيل أو التوريث، فمثلاً تقول أخذت العلم من فلان عن فلان... ودلالة النفي هنا يعكس عدم وجود أي تأثير في كلام النبي مما يعبر عن نقاء الرسالة المحمدية وصفائها.

ومن الأسرار أيضًا أن النطق بحرف الجر (عن) بقوله: (ينطق عن) يتضمن فكرة عظيمة ومعنى عميق، حيث لا يمكن اعتباره مجرد كلام عادي، بل تعبيرًا عن رسالة إلهية خالصة.

كل هذه الدلالات تجعل من حرف الجر (عن) في الآية تعبيرًا دقيقًا يعكس عمق المعنى ويؤكد بأن نجاة هذه الأمة باتباع الوحي المنزل على رسولنا الكريم، ولذلك لا يصلح في هذه الآية أن ينوب أي حرف بديلًا عن حرف الجر (عن)، وإذا حاولت يتغير المعنى والدلالة.

دخول حرف الجر (عن) مكان حرف الجر (على):

ومنه قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص: 32]، قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أن سليمان عليه السلام اشتغل بعرض الخيل حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الخندق عن صلاة العصر، حتى صلاها بعد الغروب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه، (القاسمي، 1418هـ، 8/ 257).

فالآية تتحدث عن الحب المربوط بالماديات، وناب حرف الجر (عن) على حرف الجر (على) أي: أحببت حب الخير على ذكر ربي، وفيها دلالات بلاغية تبين عظمة كلام الله، وأن كل حرف وضع في مكان يناسب الحالة والمقام، فحرف الجر هنا يوحي بالبعد عن كلام الله الذي حصل لنبي الله سليمان، ولم يذكر له انشغالًا بحب الخير على أي معنى كان، فابتعاده عن الله سبب له هذه الغفلة والانشغال، وحجبه عن الارتباط الروحي بالله، كما أن حرف الجر (عن) يفيد معنى التدرج في البعد عن الله، فبداية غفلة عن الذكر وبعدها الحجب عن رؤية نور الله والاهتداء إلى الصراط.

ومن الأسرار أيضًا لما كان المقام فيه تفصيل عن أكثر من معنى، وربط أكثر من موضوع، وسياقات مختلفة، وحتى معان مختلفة للفظ ألواح كما في لفظ الخير، كان حرف الجر هنا (عن) هو الأنسب، (الزحيلي، 1422هـ، 3/ 2204)، فاستخدام حرف الجر (عن) يعزز هذه المعاني، وهذا ما لم يكن في أي حرف جر آخر يصلح في هذا المقام، (الألوسي، 1415هـ، 12/ 183).

ومنه قوله تعالى: {فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ} [محمد: 38]، أي: على نفسه، وهنا بين الله تعالى ضرر البخل العائد على النفس فقال: {وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ} [محمد: 38]، أي: يمنعها الأجر والثواب ببخله (الشوكاني، 1414هـ، 6/ 487)، وضرره لا يتعدى لغيره، وهو سر من أسرار نيابة حرف الجر (عن) بدلًا عن (على)، فإن حرف الجر (عن) يفيد بأن هناك ضرر سيحصل فقط للبخيل ولا يحصل لغيره من المتصدقين لأنه هو سبب البخل، و(عن) تشير إلى هذه العلاقة، بينما (على) لا تشير إليها، فعندما نقول (يبخل على نفسه) توحي بأن البخل سيصل إلى النفس ولكن ليس مباشراً كما في حرف الجر (عن) الذي يدل على التركيز على الذات، بينما (على) توحي إلى الاستعلاء والسيطرة.

ومن الأسرار أيضًا أن نيابة حرف الجر (عن) على حرف الجر (على) أن الآية توحي عن الجانب المعنوي والضرر الذي يصيب البخيل معنويًا، وأيضًا في الجوانب التي فيها ضررٌ أو حزنٌ أو فراقٌ، بينما (على) توحي على الجانب المحسوس، (ابن جزي، 1416هـ، 1/ 2087)، يقول الألوسي: {فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ} [محمد: 38]، فلا يتعدى ضرر بخله إلى غيره يقال: بخلت عليه وبخلت عنه لأن البخل فيه معنى المنع ومعنى التضييق على من منع عنه المعروف والإضرار، فناسب أن يُعدى بـ (عن)، (الألوسي، 1415هـ، 13/ 236)، فحرف الجر (عن) يشير إلى أن البخل موقعه ومنبعه هو الإنسان البخيل.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

دخول حرف الجر (عن) مكان حرف الجر(من):

ومنه قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى: 25] أي: يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي، واقترفوا من السيئات، (الشوكاني، 1414هـ، 6/ 379)، و{عَنْ} هنا نابت عن حرف الجر (من)، وكأنه قال: التوبة الصادرة من عباده، (ابن جزي، 1416هـ، 1/ 1949).

ويقال: قبلت منه الشيء إذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي، ويقال: قبلته عنه أي: عزلته عنه وأبنته عنه، والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ألا يعود، وإن كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقصي على طريقه، (النسفي، 1997م، 3/ 281)، يقول الألوسي: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى بـ(عن) لتضمنه معنى الإبانة وبـ(من) لتضمنه معنى الأخذ كما في قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ} [التوبة: 54]، أي: تؤخذ، وقيل: القبول مضمن هنا معنى التجاوز والكلام على تقدير مضاف أي: يقبل التوبة متجاوزًا عن ذنوب عباده وهو تكلف (الألوسي، 1415هـ، 13/ 36)، وهناك دلالات أخرى تظهر في الآية، وأن حرف الجر (عن) هو الأبلغ من غيره من الحروف، وذاك لأنه يعطي معنى الإقلاع عن المعاصي والعودة إلى الله سبحانه، وذلك لأن من معاني (عن) المجاوزة بخلاف حرف الجر (من) التي توحي بالابتداء في أي عمل، وهنا لم يكن ابتداء وإنما توجها كليًا إلى الله الذي يقبل التوبة من العباد دون النظر إلى نوعية المعصية ما دام العبد قد أعلن التوبة والرجوع إلى الله، وهذا يتناسب مع عظمة الله سبحانه في إخباره سبحانه عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الأشياء (الزحيلي، 1418هـ، 4/ 297).

ومما قيل من هذه الأسرار أنّ فعل "يَقْبَلُ" يتعدّى لغة بحرف (من) فيقال: قبل الله منه توبته، ولكنّ عُدّيَ هنا بحرف (عَنْ) لأنّه ضُمِّنَ معنى فِعْل "عفا" أو "صَفَحَ" فعُدِّي تعديته، والتقدير: وهو الذي يَقْبَلُ التوبَةَ من عباده إذْ يَعْفو ويَصْفَحُ عنهم (حَبَنَّكَة، 1996م، ص505).

ومما يبرزه حرف الجر (عن) هنا أن التوبة تأتي من العبد بإرادة ذاتية بدون أي إكراه من أحد، وحرف الجر (من) أو الحروف الأخرى لا تعطي هذا المعنى، وهنا نود أن نشير إلى ما قاله د. فاضل السامرائي "ما اللمسة البيانية في استخدام حروف الجر في القرآن {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} (25) الشورى) ولم يقل من عباده؟ ربنا تعالى مرة استعمل (عن) ومرة استعمل (من)، {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}[الشورى:25]، {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}[التوبة:104]، ومرة قال{تَوْبَةً مِّنَ اللهِ}[النساء:92]، إذن مرة استعمل عن ومرة استعمل من، لما يقترن بالعباد يعني التوبة الصادرة عن عباد وهو يتجاوز عنهم ويعفو عنهم، لذلك قال بعضهم هو نوع من التجاوز يعني يتجاوز عن عباده ويعفو عنهم، يقبل التوبة عنهم أي يعفو عنهم بهذا المعنى، وقسم قال: الصادرة عن عباده، أو التوبة عن عباده، أي: يعفو عنه من باب التضمين تاب عنه أي: عفا عنه هذا من باب التضمين، تضمين فعل بدلالة فعل آخر، (من) مع الجهة التي تتوب أي: مع الله هو الذي يتوب، توبة من الله أي: هو التائب، عن العباد هم يتوبون وهذه (من الله) هو الذي يتوب الجهة التي تقبل التوبة، يستعمل (من) مع الجهة التي تقبل التوبة فيقول (تَوْبَةً مِّنَ اللهِ (92) النساء) يتوب عنهم أي يعفو عنهم والتوبة من الله. إذن (عن عباده) أي: الصادرة عنهم، والتائب هو الله فمع الجهة التي تقبل التوبة يستعمل (من) مثل {قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة:2]، يتقبل من وليس يقبل عن، ويوجد {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا}[الأحقاف: 16] قال مع العمل نتقبل عنهم والله تعالى قال (الله يتقبل) بنفسه.

وهذا مثال: عندما نقول: "فلان كان يمشي بسيارته وخرج من الطريق السريع" معناه وجد منفذًا وخرج وهذا المنفذ متصل بالطريق السريع، لكن لو قيل لك: "فلان بسيارته خرج عن الطريق السريع" معناه انحرف كأنما انقلبت سيارته،

هذه الصورة الآن نحن نفهمها بعد ألف عام فكيف كان العربي يفهم الفرق بين من وعن؟ (عن) لمجاوزة الشيء، (من) لابتداء الغاية كأنه ابتدأت غايته من الطريق (السامرائي، 2003م، ص 12).

الحرف الخامس من حروف الجر (في):

دخول حرف الجر (في) يدل على الوعاء والظرفية الحقيقية (ابن السراج، 1988م، 1/ 408)، كما في قول تعالى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم:4]، والظرفية المجازية كما في قول الله تعالى:{وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ} [البقرة:179] (ابن هشام، 1985م،1/223).

وقد تنوب (في) بدلًا عن بعض حروف الجر وتعطي مع غير المعاني المشار إليها أعلاه.

دخول حرف الجر (في) مكان حرف الجر (إلى):

ومنه قوله تعالى: {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}[النساء:97]، أي: فتهاجروا إليها، وسبب نزولها ما رواه البخاري عن ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، والمعنى إنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة، وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلاد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب، والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة، انظر: (الأندلسي، 1420هـ، 41/4)، وما نريده هنا هو الأسرار في إنابة حرف الجر (في) عن حرف الجر (إلى) بقوله تعالى: فتهاجروا فيها، والمعنى فتهاجروا إليها، وهو أن الهجرة أمر طارئ تحدث في زمن ولا تحدث في زمن آخر، وفي ظرف ولا تحدث في ظرف آخر، وحرف الجر (في) يوحي بأن الإنسان يستقر في البيئة التي تحتويه بغض النظر عن المكان، ولذا الهجرة فيها يعني الاستمرار ما استمرت معك الظروف، حتى تجد المكان المناسب لحماية دينك، والبقاء فيه حتى تتغير الظروف التي ألجأتك إليها الهجرة، بينما حرف الجر (إلى) لا يوحي بذلك، بل يدل على الانتهاء والبقاء في المكان الذي ألفته وعشت به وكان مألوفًا لك.

ومن الأسرار أن حرف الجر (فيها) يوحي إلى أنك تهاجر وتبحث عن المكان الذي سيحمي ضروريات الدين الخمس، والعيش فيه، والتفاعل مع البيئة المحيطة، والتكيف والاندماج في الحياة الجديدة، وعدم النظر إليها على أن الظروف حكمت عليك البقاء فيها، بينما حرف الجر(إلى) لا يشير إلى هذا وإنما يفيد أن هناك أرضًا ستنتهي رحلتك عندها، وهذا غير مقصود، ولم تكن الجهة محدد وإنما أي مكان تستطيع أن تحفظ فيه دينك وعقيدتك فهاجر إليه.

ومن الأسرار أيضًا أن حرف الجر (في) يوحي بأن الأرض التي تعيش فيها يجب أن تكون وعاءً يُحفظ فيها الدين والمال والعرض والعقل والنفس، ومتى ما توفرت هذه البيئة استقرت فيها النفس.

ومنه قوله تعالى: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [إبراهيم: 9]، أي: "أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل أن اسكتوا و(في) بمعنى (إلى) " (القاسمي، 1418هـ، 6/ 303)، وهذا نوع من الأقوال التي ذكرت في تفسير هذه الآية، وما يهمنا هنا هو الأسرار البلاغية لإنابة حرف الجر (في) بدل حرف الجر (إلى)، فهذه الآية تتحدث عن حمل الرسل لمنهج الله، وكذلك المعجزات الدالة على صدقهم لِمَنْ جاءوا من بعد ذلك، ولكن هل قبلت تلك الأقوامُ تلك البيناتِ؟ لا، لأن الحق سبحانه يقول عنهم: {فردوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وقالوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ . . .} [إبراهيم:9].

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

وهكذا نرى أن الكافرين هم مَنْ وضعوا أيديهم على أفواههم، وإما أنهم عَضُّوا على الأيدي بالنواجذ لأنهم لم يُطِيقوا تطبيق منهج الله؛ ولم يستطيعوا التحكُّم في أنفسهم" (الشعراوي، 1997م، 1/ 4645)، إذن فمن الأسرار هو أن حرف الجر (في) يعبر عن الحالة التي وصل إليها الكفار من التخبط والضياع والتناقض كما في التفسير أعلاه، فهم مؤمنون بأنهم رسل، وكافرون بالمعجزات والكتب التي جاءوا بها، وحرف الجر هنا يشير إلى أنهم غارقون في هذا الانحراف والضلال والضياع.

أيضًا من الأسرار أن حرف الجر (في) توضح وضع العناد المستمر الصادر من الكفار، وكأنهم يقولون للرسل: «لا فائدة من كلامكم في هؤلاء» فهُمْ يعترفون بأن هؤلاء رســـل من السماء، وفي نفس الوقت يُنكِرون المنهج، ويُعلنون هذا الإنكار، يكشف لنا ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم: 9]. أي: أنهم أعلنوا رأيهم في المنهج، وقالوا: إنهم مُحيِّرون ويشكُّون في هذا المنهج (الشعراوي، 1997م، 1/ 4645)، فهو ليس موقفًا عارضًا وطارئًا وإنما موقفًا واضحًا ويعلنون ذلك، بينما حروف الجر الأخرى لا تؤدي هذا المعنى، لأنه وفي غير القرآن لقلنا إلى أفواههم، لذل انه لهذا الفعل انتهاء وهذا ما لم يكن حاصلاً من الكفار، (الشنقيطي، 1995م، 2/ 242). (لم أجد هذا القول بالنص في كتاب الشنقيطي)

ومن الأسرار أيضًا أن حرف الجر (في) يناسب موضوع رد الأيدي إلى الفم، أو الأفواه كونه يفيد الوعاء، بينما حروف الجر الأخرى لا تتناسب مع الموضع، كون وضع اليد على الفم يفيد أيضًا معنى من معاني السكوت، (الماوردي، ب. ت، 2/ 124)، وهذا يفيد عدم قدرتهم على الرد لأن أياديهم في أفواههم، وهو كناية عن الإعراض.

دخول حرف الجر (في) مكان حرف الجر (على):

ومنه قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ} [يونس: 22]، أي: حتى إذا كنتم على السفن راكبين، قال القرطبي: أي: "يحملكم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك" (القرطبي، 2003م، 8/ 324)، وهذه الآية تعبر عن حالة الإنسان عند الابتلاء، وحالته عند الاستقرار والنعم، وما نريد أن نوضحه هو الأسرار البلاغية عن إنابة حرف جر مكان آخر، ودخول حرف (في) مكان حرف (على) وما بلاغة ذلك؟

فمن الأسرار في هذه الآية، والتي ناب حرف الجر (في) عن حرف الجر (على) وذلك لما يؤديه هذا الحرف من معنى ودلالة عن الحالة التي عليها الإنسان في البحر، في ظل الأمواج المتلاطمة وسواد البحر الكالح، لا مكان آمن للإنسان ومستقر سوى الفلك التي يركب عليه، فمن معاني حرف الجر (في) الوعاء، والوعاء المقصود منه إدخال الشيء في شيء آخر، (الشريف الجرجاني، 1/ 29)، وهنا تم إدخال البشر في الفلك لحفظهم أولاً وسفرهم ثانياً، وهذا ما يدل عليه حرف الجر (في) بخلاف غيره من الحروف.

ومن الأسرار أيضًا هو أن حرف الجر هنا (في) يدل على التغطية والستر للراكبين، وهذا يناسب حالة ركوب البحر، فلا شيء يظهر سوى شراع الفلك، فالدلالة هنا التغطية الكاملة للذين في الفلك، ولو استخدمنا في غير القرآن حرفًا آخرًا لم يعط هذا النوع من الدلالة، فمثلًا: حتى إذا كنتم على الفلك، معناه مستعلين ظاهرين بارزين يصيبكم الريح والموج، وهذا لا يناسب الحالة التي هم فيها والحالة لكل من يركب البحر، فيظهر عمق المعنى في استخدام العليم الخبير لحرف الجر هنا.

ومن الأسرار أن حرف الجر (في) يدل على الظرفية المكانية، والتي يوحي بالبقاء والاستمرار بهذا الحالة، واستمرار الإنسان في الرجوع إلى الله وقت الشدائد والملمات، والنسيان عند النعم، ولذا بقية حروف الجر لا تدل على هذه الحالة، وهذا يدل على استخدام أي حرف مكان آخر إنما هو لما يحمله من دلالات ومعان تتناسب والموقف الوارد فيه،

فاستخدام حرف الجر (في) هنا يدل على هذه المعاني العميقة والدلالات البلاغية التي حملتها الآيات، وأيضًا الأحداث المذكورة في الآيات، وهو ما يعززفهم السياق العام للآية.

ومنه قوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:71]، أي: على جذوع النخل (ابن كثير، 1999م، 2/ 143)، و(القرطبي، 2003م، 16/ 121)، قال الشوكاني: قال تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل} أي: على جذوعها، (الشوكاني، 1414هـ، 13/5)، ذكر المفسرون هنا أن حرف الجر (في) هو بمعنى (على)، يقول الشوكاني: "وإنما آثر كلمة (فِي) للدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف" (الشوكاني، 1414هـ، 5/ 13).

فالآية تتحدث عن أسلوب من أساليب التعذيب التي مارسها فرعون على من آمن من قومه، وما نوضحه هنا من أسرار نيابة حرف الجر (في) بديلًا عن حرف الجر (على)، يظهر الحرف (في) أن الصلب والعذاب يكون في الجذع وعلى طوله، وليس مستعليًا عليه، وإنما هي سبب رفعه، أي يصلب ويوضع على الجذع بعد الصلب، يقول المفسرون: وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت (في) لأنه يرفع فيها فيصير عليها، (الفراء، ب. ت، 2/ 181).

أيضًا حرف الجر (في) يوحي أن العذاب سيكون قاسيًا، وأن الجذع سيصبح مكانًا للعذاب وجزءًا منه، وهو ما لم نجده في بقية حروف الجر وذلك من معانيها المعروفة، ولأن الحديث هنا عن عقوبة تتم في إطار جذوع النخل وليس مجرد لحظات وينتهي الحدث بل فيه نوع من الاستمرارية، وهذا يفهم من السياق العام للنص، وأيضًا ليس فعلًا ماديًا وإنما معنويًا ونفسيًا.

هذه بعض الشواهد التي حاولنا أن نوضح فيها بعض الأسرار البلاغية لإنابة حروف الجر بعضها بدل بعض، وأيضًا أن القرآن ما استخدم حرفًا إلا لأنه يؤدي معنى أعمق من الآخر.

أبرز النتائج:

بعون من الله وتوفيق تم إنجاز هذا البحث، والذي كشف بعضًا من الدلالات البلاغية لإنابة حروف الجر عن بعضها، وقد وصل البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

1. إنابة بعض حروف الجر عن بعض كما في الآيات السابقة تدل على أن أغلبية حروف الجر في الآيات القرآنية تنوب بعضها عن بعض دلاليًا ولا يقتصر كل منها على معانيه الأصلية فحسب.
2. من أوجه تناوب حروف الجر في القرآن الكريم ما يسهل اكتشافه، ومنها ما هو في غاية التعقيد يصعب اكتشاف، يحتاج إلى نوع من الفهم اللغوي والقراءة والتأني والعودة لأمهات كتب اللغة والتفسير.
3. من الطرق المساعدة على اكتشاف وجود التناوب في معاني حروف الجر في الآيات القرآنية التحليل السياقي خصوصًا عند تعدية الأفعال إلى ظرفي الزمان والمكان بما عدا "في الظرفية"، ومنها التقابل الاستدلالي بين الآيات بعضها على بعض لتحديد حرف التعدية السائد لفعل ما.

التوصيات

- استكمال دراسة بقية حروف الجر في القرآن الكريم.
- دراسة الإنابة بين حروف الجر بعضها بدل بعض في الشعر العربي.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

المراجع:

إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (1408هـ - 1988م)، معاني القرآن وإعرابه، ط1، بيروت، عالم الكتب.

أبو بكر محمد بن السراج (ابن السراج) (1988م)، الأصول في النحو، ط3، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

أحمد بن يوسف المعروف بـ (السمين الحلبي) (ب. ت)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (ب. ط)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.

أحمد مصطفى المراغي (ب. ت)، تفسير المراغي، (ب. ط)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

إسماعيل بن حماد الجوهري (1407 هـ - 1987م)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ط4)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت.

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (أبو الفداء) (1420هـ - 1999م)، تفسير القرآن العظيم، (ط2) المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

أيوب بن موسى الحسيني الكفومي (أبو البقاء) (1419هـ - 1998م)، كتاب الكليات، (ب. ط)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الحسن بن قاسم المرادي (بدر الدين – ابن أم قاسم) (1413 هـ - 1992م)، الجنى الداني في حروف المعاني، ط1، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

حسن عباس، (2011م)، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org.

الحسين بن مسعود الفراء (البغوي) (1420هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، (ط1)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

سعيد بن مسعدة الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي، (ب. ت)، معاني القرآن للأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، القاهرة، مكتبة الخانجي.

سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (1412هـ)، في ظلال القرآن، ط17، القاهرة، بيروت، دار الشروق.

عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (1416هـ - 1996م)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط1، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية.

عبد الله بن أحمد النسفي (1419 هـ - 1998م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط1، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب.

عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (جمال الدين أبو محمد) (ابن هشام) (1985م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، بيروت، دار الفكر.

عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (جمال الدين أبو محمد) (ابن هشام)، (ب.ت)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (ب. ط)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

عثمان بن جني الموصلي (أبو الفتح) (1972)، كتاب اللمع في العربية، (ب. ط)، تحقيق: فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية.

عثمان بن جني الموصلي (أبو الفتح) (ب. ت)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
علي بن الحسين بن علي الأصْفهاني (الباقولي) (1420هـ)، إعراب القرآن المنسوب للزجاج، ط4، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، القاهرة/ بيروت، دار الكتاب المصري، ودار الكتب اللبنانية.
علي بن محمد الجرجاني (1405هـ)، كتاب التعريفات، ط1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي.
علي بن محمد الماوردي (أبو الحسن)، (ب. ت)، النكت والعيون، (ب. ط)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية.
فاضل بن صالح السامرائي (1423 هـ - 2003م)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (ط3)، عمان - الأردن، دار عمار.
محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (الشنقيطي) (1415هـ - 1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر.
محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ابن عاشور) (1420هـ/2000م)، التحرير والتنوير، ط1، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (2003م)، الجامع لأحكام القرآن، (ب. ط) تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض.
محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي (1416هـ)، لتسهيل لعلوم التنزيل، (ط1) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر) (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
محمد بن عبد الله، الطائي الجياني (ب. ت)، شرح الكافية الشافية، (ط1) المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
محمد بن علي الشوكاني (1414هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، ط1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
محمد بن علي الصبّان (1417 هـ -1997م)، حاشية العلامة الصبّان، على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك، (ط1) لبنان، دار الكتب العلمية.
محمّد بن محمّد الزَّبيدي الملقّب بـ (مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
محمد بن يوسف الشهير الأندلسي (أبو حيان) (1420هـ)، تفسير البحر المحيط (نسخة محققة)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.
محمد جمال الدين القاسمي (1418هـ)، محاسن التأويل، (ط1)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت.
محمد متولي الشعراوي (1997م)، تفسير الشعراوي - الخواطر، (ب. ط)، مطابع أخبار اليوم، بدون بيانات.
محمود شهاب الدين الألوسي (أبو الثناء) (1415)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (نسخة محققة)، (ب. ط)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية.
وهبة بن مصطفى الزحيلي (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دمشق، دار الفكر المعاصر.

https://doi.org/10.20428/jss.v31i6.2930

وهبة بن مصطفى الزحيلي (1422هـ)، التفسير الوسيط، ط1، دمشق، دار الفكر.
يحيى بن زياد الفراء (أبو زكريا) (ب. ت)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي/ محمد علي نجار/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مصر، دار المصرية.